Journal Of the Iraqia University (71-2) March (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

القضاء والقدر عند الشيخ عبد الوهاب الشعراني

م.د مهند شوقي صبري

جامعة الفلوجة/ كلية العلوم الاسلامية

Research Title: Fate and destiny according to Sheikh Abdul Wahab Al-Shaarani.

Researcher Name: Asst. Dr. Muhannd Shawqi Sabry
University and College: University of Fallujah/College of Islamic Sciences
Email: muhannad.shawqi@uofallujah.edu.iq

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلائق والمرسلين واله وصحبه اجمعين.فان مدار العلوم الشرعية مرتكزة في العقيدة الاسلامية التي تتفرع منها بقية العلوم ومن اهم ابواب العلم العقدي هو القضاء والقدر وان هذه الابواب لو نقرأها في ادبيات الائمة الكبار لظهرت لنا نفائس علمية ونكت دقيقة تكون قواعد تأسيسية للعلوم التفريعية القادمة ومن بين هذه الاسماء الامام الشعراني الذي ترك ارثا علميا اغنى الفكر وجوانب الشريعة بفرائد العلوم ولعل منها اجل علم وهو علم العقيدة ولعل من اجل ابواب العقيدة هو القضاء والقدر فاردت ان اظهر مفاهيم القضاء والقدر عن الامام عبد الوهاب الشعراني وكيف جمع بين الذوق الوجداني الكبير وبين الفهم العقدي الذي اضاف رونقا علميا جميلا يضاف للمناهج التي اثرت المكتبة الاسلامية .وقد ذكرت فيه جوانب من حياته الشخصية ثم ما جاء في منهجه عن القضاء والقدر وما يلازم القضاء والقدر من افعال عباد والتكليف بما لا يطاق وبعض الفرائد التي انتهجها في ملزومات هذا الباب الكلمات المفتاحية:(القضاء،القدر، الشعراني، العقيدة، أفعال العباد)

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the most honorable of creation and messengers, his family and all his companions.The orbit of the Islamic sciences is based on the Islamic faith, from which the rest of the sciences branch out. One of the most important chapters of the theological knowledge is fate and destiny. If we read these chapters in the literature of the great imams, we will discover scientific treasures and subtle points that will be the foundational rules for the upcoming branching sciences. Among these names is Imam Al-Sha'rani, who left a scientific legacy that enriched thought and aspects of the Sharia with pearls of science. Perhaps the most noble of them is the science of faith. Perhaps one of the most noble chapters of faith is fate and destiny. I wanted to show the concepts of fate and destiny from Imam Abdul-Wahhab Al-Sha'rani and how he combined great emotional taste with the theological understanding that added a beautiful scientific splendor to the curricula that influenced the Islamic library.I mentioned aspects of his personal life, then what came in his approach about fate and destiny, and what accompanies fate and destiny of the actions of servants and the imposition of what is unbearable, and some of the pearls that he adopted in the requirements of this chapter Keywords: (fate, destiny, Al-Sha'rani, belief, actions of servants) .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلائق والمرسلين واله وصحبه اجمعين فان لباب العلم كله ومجامع الحقيقة المعرفية تنجمع عندما يذكر الاعلام الكبار من اهل العلم والصلاح والتاثير في هذه الامه المباركة ولعل من بينهم هذا الجهبذ الشعراني الذي ترك ارثا علميا اغنى الفكر وجوانب الشريعة بفرائد العلوم ولعل منها اجل علم وهو علم العقيدة ولعل من اجل ابواب العقيدة هو القضاء والقدر فاردت ان اظهر مفاهيم القضاء والقدر عن الامام عبد الوهاب الشعراني وكيف جمع بين الذوق الصوفي الكبير وبين الفهم العقدي الذي اضاف رونقا علميا جميلا يضاف

للمنهج العلمي الذي بناه الامام الشعراني رحمه الله تعالى وقد ذكرت فيه جوانب من حياته الشخصية ثم ماجاء في منهجه عن القضاء والقدر وما يلازم القضاء والقدر من افعال عباد والتكليف بما لا يطاق وبعض الفرائد التي انتهجها في ملزومات هذا الباب ..والله المعين

المطلب الاول : السيرة الشخصية للإمام الشعراني :

هو الامام عبد الوهاب بن أحمد بن علي وينتسب إلى محمد ابن الحنفية حيث ترعرع ونشأ بساقية أبي شعرة وهي قرية من قرى المنوفية في مصر وإليها نسبته ولتفظ الشعراني والشعراوي[١] ، وكان كثيرا ما يحدث عن نفسه بان جده هو السلطان محمد ابن موسى ابن السيد محمد ابن الحنيفة بن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ[٢] لقبه وكنيته: كانت له القاب وكنى كثيرة تدل على غزارة علمه ومنهجه حيث كان يلقب أبو محمد ويكنى باشهر كنية وهي ابو المواهب الصوفي الكبير صاحب الميزان [٣] ولادته [٤]: ولد في مصر المحروسة في قلقشندة في عام ٨٩٨هـ[٥] وفاته: توفي رحمه الله تعالى في القاهرة عام ٩٧٣هـ [٦] .

المطلب الثاني السيرة العلمية :

بدأ الشعراني كعادة اهل العلم بحفظ القرآن الكريم وهو صغير في السن وكان مواظباً على العمل الطيب والسيرة الحسنة بين اقرانه متفردا بهمته فحفظ القرآن وهو ابن ثمان اعوام وواظب على الصلاة والطاعة وهو دون البلوغ ، ثم هاجر من ريف مصر إلى المدينة القاهرة ليبدأ بدراسة المتون الشرعية واقام في جامع سيدي أبي العباس الغمري[٧] ، واعجب به الشيخ وعاش بينهم وبرع ولمع حتى حفظ متون الكتب الشرعية[٨] ويقول عن نفسه : (ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي: حفظ متون الكتب فحفظت أولاً أبا شجاع ثم الآجرومية في بلاد الريف وحللتهما على أخي الشيخ عبدالقادر بعد وفاة والدي ثم لما جئت مصر حفظت كتاب المنهاج للنووي ثم ألفية ابن مالك ثم التوضيح لابن هشام ثم جمع الجوامع ثم ألفية العراقي ثم تلخيص المفتاح ثم الشاطبية ثم قواعد ابن هشام، وحفظت هذه الكتب حتى صرت أعرف متشابهاتها كالقرآن من جودة الحفظ، ثم ارتفعت الهمة إلى حفظ كتاب الروض مختصر الروضة لكونه أجمع كتاب في مذهب الشافعي فحفظت منه إلى أثناء باب القضاء على الغائب)[٩] ثم يذكر انه طالع الكتب الفقهية بمذاهبها المعروفه وتفصيلاتها وبرع في فهمها[١٠] .ثم درس وقرأ من كتب التصوف والرقائق مئات الكتب والمصنفات وتعلق بكتب الغوالي ومحي الدين بن العربي فحذف منها ما دس عليهم[١١] .شيوخه:مما اشتهر عن الشيخ عبدالوهاب الشعراني كثرة المشايخ الذين اخذ منهم فقد أخذ عن مائتي شيخ وأخذ الطريق عن نحو مائة شيخ أيضاً، فجميع شيوخه ثلاثمائة، وقد ذكر عدداً عديداً منهم في الطبقات[١٢]، والأشهر منهم

١- علي الخوّاص[١٣] .

٢-علي المرصفي[١٤] .

٣- محمد الشناوي[١٥] .

٤- وأمين الدين إمام جامع الغمري[١٦] ، وكثير[١٧] .

تلاميذه:

أما عن تلاميذه فهموكثيرون لكن أقتصر على بعضهم :

١- عبد الرؤوف المنّاوي .

٢- عبد الرحمن بن الشيخ عبد الوهاب الشعراني[١٨] .

٣- محمد حجازي بن عبدالله القلقشندي الواعظ[١٩] .

٤- أحمد بن عيسى بن غلاب المالكي[٢٠] .

المطلب الثالث منهجه في فهم معتقد القضاء والقدر:

يذهب الامام الشعراني الى القول بأن العلوم الشرعية وخصوصا العقدية لا تنفك عن المستوى الذوقي الذي ورثه مجلس التزكية الذي تسلطن به وعليه النبي صلى الله عليه وسلم وهذا العلم اختزل في العلوم الصوفية التي اتسمت كلها بالذوق والوجدان والشهود المنبعث من مفهوم مدارج مقام الاحسان والذي يعبر عنه الصوفية بالكشف والشهود المطلق والوراثة المحمدية وأن من علومهم التي تميزوا بها عن غيرهم هو تعاطييهم مع مفاهيم الاسلام العقدية ودلالات المقاصد في اطار فهمهم ومنهجية فهمهم ومنهم الامام الشعراني ومن المفاهيم التي اقصدها هي علم القضاء والقدر وعلم سر القدر الذي طوى علمه عن الخلائق كلهم الا من ارتضى وفتح لهً ، وفي المنهجية الصوفية ان الله فتح لاهل الذوق الابواب وحملهم امانة العلم والمعرفة وهم ورثته فيقول "اعلم يا أخي أن علوم القوم كلها كشفية ووراثة محمدية، وأين لأصحاب الأفكار الوصول إلى

معرفة شيء منها بفكر أو إمعان نظر في كتاب... إذا علمت ذلك فمن علوم القوم التي تميزوا بها عن غيرهم علم حضرات القضاء والقدر وعلم سر القدر الذي طوى علمه عن الخلائق ما عدا محمداً وكمل ورثته وسر القدر العام للأنبياء وغيرهم"[٢١] ، ويذكر أن علم القدر باشكاله الحقيقية التي توصل اليها اهل المعرفة خاص بمفاهيمه الاصيلة بكمل الورثة المحمديين عن طريق الوهب فيقول: علم القدر إنما هو بمفهومه الاكبر والاخص خاص بأفراد من كمل الورثة المحمديين، وهذا من مستودعات المعارف التي اعطاها الله ومن بها في الفهم على بعض العقول والمناهج ، حتى ان الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي قال في الفتوحات المكية : اعلم أن أكثر العلماء بالله تعالى ليس عندهم علم بسبب بدء العالم إلا تعلّق العلم القديم أزلاً بإيجاده فكونه تعالى ما علم أنه سيكون وهنا انتهى علمهم، وغيرهم فتح لهم فأطلعوا على ما فوق ذلك من طريق الوهب فالامر متعلق بالفهم ومصادره لا تنتهي ولا تعد [٢٢] ، ومن هذه المفاهيم تنشأ علوم ومفاهيم شتى . يقول الشعراني في كتابه الدر الغواص الذي طبع بهامش كتاب الابريز سألت شيخنا[٢٣] ﷺ عن سر ومعنى القدر المتحكم حقيقة في الخلائق هل اطلع عليه أحد من الأولياء فقال: نعم لكن هذا بحكم الإرث المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعط علمه لأحد من الأنبياء غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال: لأن جميع الانبياء وغيرهم لو اطلعوا عليه ربما كان سبباً لفتورهم عن التبليغ وعما هم مأمورون بفعله فكان طيه عنهم رحمة بهم وكذلك ليبين لنا عظمة الذات المحمدية كونه المفضل المورث لعلماء امته ارثا رصينا[٢٤] ويتعدى بتلك المفاهيم الى ذروات الفهم الاكمل فيقول أن من شرط من يلقن المريدين أن يشاهد تصاريف الأقلام في الخلق والمشاهدة هنا تمام المعرفة بدقائق الحكم التي تصحب الاقدار والتي لا يقف الشعراني عند فهمها فلا يقول باننا يجب ان نتتبعها وذلك لان مقام العبودية يقتضي الصبر تحت سياط الاقدار دون فلسفة تخرجه عن جمال عبوديته .ومن خلال هذا العرض لاقواله نراه قد وافق فيما ذهب اليه ابن عربي ، وخالف في المصطلح فقط دون المفهوم ما قاله المتكلمون الذين يرون أن علم القدر من علوم الغيب التي لا يعلمها إلا الله وأن الخلق مهما كانت منزلة أحدهم لا يصل إلى معرفة الغيب إلا من شاء أن يطلعه منهم على ما أراد من ذلك، سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً ، والادلة ظاهرة كثيرة في تقرير ذلك يقول تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[٢٥] ، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٢٦] ، ومن السنة ما رواه ابن عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)[٢٧] . فعلم الغيب لا يعلمه إلا الله، لا تعلمه الملائكة ولا من دونهم من الجن أو السحرة أو الكهان، وهذا من تمام إحكام الخلق، وكمال إلهيمنة، وعظمة الربوبية، فإن علم الغيب من صفات الربوبية التي استأثر الله تعالى بها دون من سواه، فلا ، سمي له ولا مضاهي ولا مشارك)[٢٨] ، .

خلق أفعال العباد عند الشعراني:يرى الشعراني أن الله تعالى خالق لأفعال العباد كما هو خالق لذواتهم، وأن العباد مكتسبون لا خالقون، وأن مسألة الكسب من أدق مسائل الأصول وأغمضها ولا يزيل إشكالها إلا الكشف فيقول المبحث الرابع والعشرون: في أن الله تعالى خالق لأفعال العبد كما هو خالق لذواتهم وأن العباد مكتسبون لا خالقون)[٢٩] ، ويقول: (واعلم يا أخي أن مسألة الكسب من أدق مسائل الأصول وأغمضها ولا يزيل إشكالها إلا الكشف على نزاع في ذلك)[٣٠] ، ثم يذكر أن العبد إذا وقع في معصية فإنما هو من حيث كسبه ونفسه فيقول (فعلم أن سخط العبد وندمه إذا وقع في معصية إنما هو من حيث كسبه ونفسه لا من جهة كون ذلك من تقدير الحق تعالى عليه فافهم)[٣١] ، ويشير إلى أن من أخلاق المريدين أن ينظروا إلى المعاصي أنها من كسبهم فيقول: (ومن أخلاقهم : أن يكون لهم حال المعصية عينان أو أعين، فعين ينظرون بها كسبهم للمعاصي بعد نهي الشارع لهم عنها فيستغفرون منها، وعين ينظرون بها حكمة التقدير الإلهي فيرضون بذلك عن الله، وهذا معنى قول الأئمة رَضَ اللَّهُ عَنْهُم يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضي)[٣٢] ، ويستشهد بقول ابن العربي، ومدحه للأشاعرة القائلين بالكسب فيقول (وصدقت الأشعرية الذين هم الفرقة الناجية في إضافتهم الأفعال الله تعالى خلقاً وإلى العبد كسباً من الجانبين بدليل شرعي عقلي)[٣٣] .والشعراني بهذا لا خالف بالشكل الجوهري منهج اهل السنة والجماعة الذين يرون أن أفعال العباد كلها من طاعة ومعصية وخير وشر مخلوقة الله تعالى وأن العباد لهم قدرة على أفعالهم وهم فاعلون لها حقيقة، وهي قائمة بهم ومنسوبة إليهم ومن ثم فإنهم يستحقون عليها المدح والذم والثواب والعقاب، ومن أدلتهم على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣٤] ، ويقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٣٥] ، ومن الأدلة على قدرة العباد على أفعالهم ونسبتها لهم قوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣٦] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾[٣٧] ، فالعبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة حقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[٣٨] ، ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٣٩] ، وأمثال ذلك[٤٠]ولكن يتعدى الى كونه يصل الى حالة شهود نفسي تام ومقام الاحسان يقتضي امورا لا تنفك عن الاحساس والترقي فوف كيان المادة فيرى في ذلك المقام ان أفعال للعباد حقيقة ومفعولة للرب

فالفعل عندنا غير المفعول، وهو إجماع من أهل السنة حكاه الحسين بن مسعود البغوي[٤١] وغيره، فالعبد فعلها حقيقة والله خالقه وخالق ما فعل به من القدرة والإرادة وخالق فاعليته)[٤٢] .

تكليف ما لا يطاق عند الشعراني: ان مما هو معلوم انه من خلال جميع النصوص في هذا الباب وكذلك في المعقول أن الله اوجد الحكمة[٤٣]، فيما خلق وأمر وصنع تفضلاً ورحمةً ، ولم يكلف الله العباد بالمحال وقد اورد بعض المخالفين ذلك واجيب عنهم بان التكليف بالمحال لازم على تقدير التوسط أيضاً لأن العبد غير قادر على إيجاد الفعل بل يوجد بخلق الله فيكون التكليف بالفعل تكليفاً بالمحال، جاء الجواب عن هذا الشكال بقوله قلت للعبد قصد اختياري[٤٤] فالمراد بالتكليف بالحركة التكليف بالقصد إليها بعد القصد الجازم بخلق الله تعالى الحركة أي الحالة المذكورة بإجراء عادته أو التكليف بالحركة بناءً على قدرته على سببه الموصل إليه غالباً وهو القصد[٤٥]قلت نصوص الكتاب والسنة دالة على أن المكلف به نفس الأعمال الاختيارية[٤٦] وقد دل نص ((لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)) على أن العبد قادر على ما كلف به فلا موجب للقول بأن الواجب بالتكليف بها التكليف بالقصد إليهاوتكليف الله العباد بالاعمال اتت تبعا لخلقه الايجاد والامداد فما كان بالله فهو لله بالذات أي الخلق والايجاد الاصلي والذات وللعبد بالجعل من كونها لا ترتبط الا ارتباطا شكليا جعليا [٤٧] ولهذا قال تعالى أن القوة لله جميعاً، أي أن القوة الظاهرة في مظاهر الأقوياء لله جميعاً ومن هنا لاحت واتضحت مسألة الكسب فالمكسوب[٤٨] للعبد عين المخلوق لله بالذات وغيره بالاعتبار لان الاصل فيه انه مخلوق لله بكل حركة وسكنه وطرفة عين وانما جاءت الاشياء الجعليه من خلال الارتباط الذي هو اصلا احد مظاهر القوة الربانية الظاهرة في العبد بحسبه واحد بالذات مختلف بالاعتبار فمخلوقيتها لله تعالى لا تنافي مكسوبيتها للعبد[٤٩]وقال الطحاوي[٥٠] نقلا عن بعض الماتريديه في معتقدهم[٥١]، وأفعال العباد خلق الله وكسب العباد ولم يكلفهم إلا ما يطيقون وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله.وقال الإمام ابي حنيفة في الفقه الأكبر (وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله خالقها.... إلخ).ومن أوضح الشواهد للمقام ما في صحيح مسلم[٥٢] من حديث أن الصحابة قالوا: يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، الحديث[٥٣] فإنهم صرحوا بأنهم ما كلفوا به هي الأعمال المذكورة أنفسها وأنهم يطيقون ذلك وأقرهم النبي وما روى ابن أبي حاتم[٥٤] والديلمي[٥٥] ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم[٥٦] من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ثم لم يرض مني إلا أن كلفني ما كلفهم فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل[٥٧] وإني والله لأصبرنّ كما صبروا جهدي ولا قوة إلا بالله[٥٨] كما جاء جليا في الدر المنثور[٥٩]يرى الشعراني في هذا الصدد عدم صحة من يزعم أن الله يكلف عبده بما لا يطاق؛ لأن أفعال الله تعالى كلها عين حكمة ومن زعم ذلك فهو سيئ الأدب مع الله فيقول (ومما أجبت به من يتوهم من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[٦٠] أن الله تعالى قد يكلف عبده بما لا طاقة له به بوجه من الوجوه ولذلك شرع لنا سؤاله أنه لا يُكلفنا بذلك والجواب: أن هذا توهّم ،باطل، فإن أفعال الحق تعالى كلها عين الحكمة لا بالحكمة كما مر ؛ لئلا تكون الحكمة علة لها، وتعالت أفعال الله تعالى عن العلل، والدور، والتسلل)[٦١] ، ويستشهد الشعراني على ذلك بقول شيخه علي الخواص فيقول: (وسمعت سيدي علياً الخواص يقول: لو صح أن يكلف الله تعالى عبداً فوق طاقته ما كان الله الحجة البالغة على عباده وقد قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[٦٢] ، وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٦٣] ، وقوله تعالى حق وصدق لا شك فيه)[٦٤] ، ويستشهد كذلك بقول ابن عربي فيقول: (وقال في الباب السابع والسبعين والمائة في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: اعلم أن في هذه الآية أعظم دليل على أنه تعالى ما كلف عباده إلا ما يطيقونه عادة، ولم يكلفهم بنحو صعود السماء بلا سبب ولا بالجمع بين الضدين، ولو أنه تعالى كان كلفهم بذلك لما كان يقول [٦٥] ﴿فَلِلَّهِ الْحَجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ ، ويذكر أن من ا اعتقد أن الله يحمل عباده بما لا يطاقون فهو مسيء الأدب مع الله فيقول: (فعلم أن من توهم في الله تعالى أن يُحمله من التكاليف ما فوق طاقته فهو مسيء الأدب مع الله تعالى لما في ذلك من رائحة إقامة الحجة على الله في سره)[٦٦]والشعراني وافق منهج اهل السنة والجماعة القائلين بأن الله تعالى لا يكلف عباده بما لا يستطيعون، ومن الآيات القرآنية التي تقرر ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٦٧] ، ويقول تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[٦٨]ومن مشاهدات لطيف فعل الله وحكمته وجميل الطاف صنعه يقول ابن كثير[٦٩] (وقوله لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ؛ أي لا يُكلف أحد فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه، ورأفته بهم وإحسانه إليهم)[٧٠] .

الخاتمة والنتائج

إن الإمام الشعراني يعتبر من العلماء الذين أبدوا آراءهم السديدة في الجوانب العقدية، ومن تلك الجوانب هو القضاء والقدر.

نتائج البحث:

١) الامام الشعراني خير من حرر المعاني العقدية والصوفية وجمع بينهما في اطار واضح وسلس في الاداء الفكري السليم.

٢) يمكن القول ان لفكر الشعراني وطريقة بناء المسائل العلمية كان اضافة جميلة ودقيقة لأسلوب التعاطي مع مفردات عقدية دقيقة.

٣) أسس الشعراني مع مدرسة اهل السنة والجماعة خطا مرنا في التفكير وانطبعت فيه تأثرات المدرسة الصوفية وعلى راسها ابن عربي.

هوامش البحث

١ () ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام: ١٨٠/٤ , عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: ٣٣٩/٢ .

٢ () الشعراني، المنن الكبرى أو لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق: ص٥٥ .

٣ () ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام: ١٨٠/٤ , عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: ٣٣٩/٢ .

٤ () تاريخ مولد الشعراني موضع اختلاف بالنسبة للمترجمين له .

٥ () ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام: ١٨٠/٤ , عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: ٣٣٩/٢ .

٦ () ينظر: المصدرين السابقين بنفس الجزء والصفحة .

٧ () هو أبو العباس الغمري الواسطي، يزعم الصوفية بأنه كان جبلاً راسياً وكنزاً مطلساً ذا هيبة على الملوك فمن دونهم، وكان له كرامات كثيرة، مات في صفر سنة خمس وتسعمائة ودفن بأخريات الجامع بمصر. [ينظر: الشعراني، الطبقات الكبرى: ١١٠/٢ – ١١١] .

٨ () الشعراني، المنن الكبرى أو لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق: ص ٥٥ – ٥٦ .

٩ () الشعراني، المنن الكبرى أو لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق: ص ٥٦ .

١٠ () المصدر نفسه: ص ٥٦ – ٥٧ .

١١ () الشعراني، المنن الكبرى: ص ٥٧ , ص ٧٩ .

١٢ () ينظر: الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: ١٠٧٩/٢ .

١٣ () هو علي البرلسي، الأمي، المعروف بين الخوّاص بالخوّاص، كان في ابتداء أمره يبيع الجميز وهو شاب عند الشيخ إبراهيم المتبولي، ثم أذن له أن يفتح دكان زيات فمكث بها نحو أربعين سنة، ثم ترك وصار يضفر الخوص حتى مات سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ودفن بزاوية الشيخ بركات. [ينظر: المنّاوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوي الكبرى: ٩٠/٤] وينظر: [الشعراني، الطبقات الكبرى: ٢

١٤ () هو علي نور الدين المرصفي، كان أبوه إسكافياً يخيط النعل ونشأ وهو تحت كنفه فوفق بالاجتماع بالشيخ مدين وهو ابن ثمان سنين فلقنه الذكر، ثم أخذ عن ولد أخته وأذن له في التصدر للمشيخة، أخذ عنه خلق كثير ويزعم الصوفية بأن مشايخ عصره دانت له واختصر رسالة القشيري، مات سنة ثلاثين وتسعمائة ودفن بزاويته بقنطرة أمير حسين بمصر. [ينظر: المنّاوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوي الكبرى: ٧٧/٤–٧٩] , وينظر: [الشعراني، الطبقات الكبرى: ١١٦/٢–١١٧] .

١٥ () هو محمد الشناوي الأحمدي المحمدي الصوفي المسلك المربي، أخذ عن جماعة كثيرة كان من أجلهم الشعراني، يزعن الصوفية بأن من كراماته: أنه كان يكلم الشيخ أحمد البدوي فيجيبه من القبر، مات سنة ثنتين وثلاثين وتسعمائة ١١٨/٤ – ١١٩: ١٢٠/٢–١٢١]

١٦ () هو أمين الدين إمام جامع الغمري، كان من الراسخين في العلم انتهت إليه الرئاسة في علو السند بالكتب الستة وغيرها، مكث سبعاً وخمسين سنة إماماً لم يدخل وقت واحد عليه وهو غير وضوء، وليلة موته كان مريضاً فزحف إلى ميضأة الجامع فوقع بثيابه فيها فطلع والناس يحاذونه فصلى بالناس المغرب وثيابه تخر ماء وبقي معه العزم إلى أن مات، [ينظر: الشعراني، الطبقات الكبرى: ١٣٢/٢ – ١٣٣] .

١٧ () ينظر: الشعراني، المنن الكبرى: ص ٥٧ – ٦٠ .

١٨ () هو عبدالرحمن بن عبدالوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن زوقا بن موسى بن أحمد بن سعيد بن السلطان فاشين ابن السلطان يحيى ابن السلطان زوقا الشعراوي، ولما مات والده في سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة قام بعده بزاويته المعروفة به، يزعم الصوفية بأنه كان معظماً عند الحكام مقبلاً على جمع المال توفي في أواخر سنة إحدى عشرة بعد الألف ودفن بزاوية والده بباب الشعرية والشعراوي: ٣٦٤/٢] .

١٩ () هو محمد حجازي بن محمد بن عبدالله الشهير بالواعظ القلقشندي، نشأ بمصر يزعم الصوفية بأنه حفظ القرآن وعدة متون في النحو والقراءات والفقه وعرضها على علماء عصره، وأخذ عن جماعة من العلماء منهم الشيخ عبدالوهاب الشعراوي، كانت ولادته في الليلة السابعة عشرة من ذي القعدة سنة سبع وخمسين وتسعمائة وتوفي يوم الأربعاء سادس عشر من ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وألف. [ينظر: المصدر السابق: ١٧٤/٤–١٧٧] , وينظر: [الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: ١١٢٥/٢ – ١١٢٨] .

٢٠ () هو أحمد بن عيسى بن غلاب بن جميل المنعوت شهاب الدين الكلي المالكي، شيخ المحيا النبوي بالجامع الأزهر، وهو منفلوطي المولد وفيها نشأ ثم تحول مع أبيه إلى . مصر فحفظ القرآن وعدة متون وأخذ عن والده ومجموعة من العلماء وصار يلقى دروساً مفيدة، وأخذ التصوف عن عبدالوهاب الشعراوي، وجلس بالمحيا الشريف بعد والده كانت وفاته في سنة سبع وعشرين وألف بمصر. [ينظر: محمد أمين المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: ٢٦٦/١] , وينظر: [المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: ١٣٨/٤ – ١٣٩] .

[٢١] () الشعراني، الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية: ص٤٥ .

[٢٢] () الشعراني، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: ١١٨ .

[٢٣] () علي الخوّاص.

[٢٤] () الشعراني، الجواهر والدرر: ص ٣٧ .

[٢٥] () سورة الجن، الآيتان: ٢٦ – ٢٧ .

[٢٦] () سورة الأنعام، الآية: ٥٩ .

[٢٧] () أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٣٧٩) كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً، وإن الله عنده علم الساعة، وأنزله بعلمه، وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، إليه يرد علم الساعة): ٣٧٩/٤ – ٣٨٠ .

[٢٨] () الشيخ حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: ٥٧١/٢ .

[٢٩] () الشعراني، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: ص ١٨٩ – ١٩٠ .

[٣٠] () المصدر نفسه: ص ١٨٩ – ١٩٠ .

[٣١] () الشعراني، المنن الوسطى: ص ٢٦١ .

[٣٢] () الشعراني، الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق: ص ١٣٧ – ١٣٨ .

[٣٣] () الشعراني، القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية: ص ٣٠٨ – ٣٠٩ .

[٣٤] () سورة الصافات، الآية: ٩٦ .

٣٥ () سورة القمر، الآية: ٤٩ .

٣٦ () سورة الواقعة، الآية: ٢٤ .

٣٧ () سورة المؤمنون، من الآية: ٦٣ .

٣٨ () سورة البقرة، من الآية:١٩٧ .

٣٩ () سورة هود، من الآية: ٣٦ .

٤٠ () ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية: ص ٦٥٠ .

٤١ () هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي: ولد عام ٤٣٦ هـ فقيه، محدث، مفسر نسبته إلى بغا من قرى خراسان بين هراة ومرو توفي عام ٥١٠ هـ . من مصنفاته: التهذيب في فقه الشافعية، وشرح السنة في الحديث، ٦٤٤/١]

٤٢ () ابن القيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ص ٢٢٣ .

[٤٣] الحكمة: الإحاطة بنظم الأمور ومعانيها الدقيقة والجلية والحكم عليها بأنها كيف ينبغي أن تكون حتى تتم منها الغاية المطلوبة، ومن جهة الحكمة في الخلق لا يمكن القول بأن الحكمة هي الدافعة لفعل الله بل هي تابعة لفعل الله تنزيهاً له ١٩٩٠م، ٥/٣.

[٤٤] هي العزيمة والنية الكامنة في السريرة، والتوجه الكلي نحو عمل ما ومحلها القلب، وهذا التوجه والنية السالمة في شوائب القهر والجبر هي مدار المؤاخذة لأن الله خالق لفعل عبده ولكن بعد القصد منه، ينظر: الملل والنحل، محمد عبد الكريم الشهرستاني، مطبعة البابي الحلبي: ١١٤/١.

[٤٥] هو خلوص الداعي إلى فعله أو ترجحه عن الصارف وإرادة من فعل القاصد، شرح المصطلحات الكلامية: ٢٧٠.

[٤٦] هو ما صدر عن مؤثر لا على جهة الوجوب، أي متعلق قدرة الفاعل وإرادته واقعة على وفق قصده ودواعيه، ٢٥٢.

[٤٧] أي لله بالخلق والإنشاء من العدم، والعبد يجعلها مكسوبة له واقعة في محل قدرته.

[٤٨] الكسب: هو المقدور بالقدرة الحادثة أي خلق الله الفعل في الإنسان بعد تصميم العبد والعزم عليه وانصراف دواعيه إليه، ٢٨٨.

[٤٩] أي أن الفعل الذي يكتسبه العبد هو عين ما خلقه الله لا دخل للعبد في خلقه ولا إيجاده، ولكن للعبد اكتسابه والذي هو ميلان النفس والعزيمة وإنشاء القصد، ليخلق الله الفعل عقيبه، فالأصل في الفعل هو ما يقصده الإنسان وتذهب إليه حواسه، ومن هنا نفهم حقيقة العدل الإلهي على وفق ما قرره أهل السنة والجماعة من الأشعرية.أما المعتزلة فقالوا: أن العبد هو خالق فعل نفسه لأن القتل والزنا والمحرمات قبيحة ولا يجوز لله أن يخلق القبيح ويرد عليهم:أن ما يوصف بكونه حسناً أو قبيحاً إنما هو لتحسين أو تقبيح الشرع له، وإن الأشياء لا تنطوي بذواتها على حسن وقبيح.وعلى هذا صار القول بأن خلق الشرور والمنكرات ليس بقبيح ولكن القبيح أن يكتسب الإنسان بمحض حريته وإرادته ذلك المنهي عن الموصوف بالقبيح، والله الخالق لكل الموجودات بما فيها ولعل من مظاهر حكمته تعالى في خلق الشرور الآية: ٣٥.

[٥٠] الطحاوي: هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي وكنيته أبو جعفر، ولد سنة (٢٢٩هـ)، وقيل سنة (٢٣٩هـ)، كان ثقة نبيلاً فقيهاً، صحب المزني وترك مذهبه وصار حنفياً، تفقه على أبي جعفر أحمد بن أبي عمران، وله مؤلفات كثيرة منها النوادر الفقهية واختلاف الروايات على مذهب الكوفيين، توفي سنة (٣٢١هـ)، ينظر: تاج التراجم: ٨، شذرات الذهب: ٢٨٩/٢.

[٥١] كتاب العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر الطحاوي، مطبوع مع شرح العقيدة الطحاوية للقاضي أبي العز الدمشقي (ت ٧٩٣هـ)، حققه وعلق عليه: شعيب الأناؤوط، مؤسسة الرسالة: ١٢٤/١.

[٥٢] هو الإمام مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسن النيسابوري صاحب الصحيح، روى عن قتيبة، وعمرو الناقد، وابن المثنى، وابن يسار، وأحمد، ويحيى، وإسحاق، وقيل عنه ما نمت أديم السماء أصح من كتاب مسلم، مات سنة (٢٦١هـ) في شهر رجب، ينظر:: ٢٦٤/١-٢٦٥.

[٥٣] رواه مسلم في صحيحه في باب أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، دار إحياء التراث العربي،، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: ١١٥/١.

[٥٤] ابن أبي حاتم: هو إمام الناقد شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ أبي حاتم محمد بن إدريس بن منذر التميمي الحنظلي الرازي ارتحل به أبوه فأدرك الأسانيد العالية، سمع أبا سعيد الأشج وعلي بن المنذر الطريقي والحسن بن عرفة وخلائق، روى عنه حسينك التميمي ويوسف الميانجي وأبو الشيخ ابن حبان، وعلى بن مدرك، وغيره خلائق وكان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال وكان من العلماء والزاهدين، توفي في محرم سنة (٣٢٧هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ للإمام أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، (ت:١٤٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ٨٢٩/٣.

[٥٥] هو أبو منصور شهردار بن شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فاخسرة بن حسر كان بن استنب بن زيونة الديلمي الهمذاني، عالماً فاضلاً حافظاً، سمع أباه، وأبي الحسن مكي بن منصور بن علان الكرجي وأبا العلاء حمد بن نصر الحافظ، توفي سنة (٥٥٨هـ)،: ٤٥٧/١.

[٥٦] أولو العزم هم أفضل من غيرهم وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

[٥٧] سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

[٥٨] رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١: ٤٢٦/٥.

[٥٩] الدر المنثور في التفسير بالمأثور للعلامة الشيخ جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت- لبنان: ١٢٤/٧.

٦٠ () سورة البقرة، من الآية: ٢٨٦ .

٦١ () الشعراني، القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية: ص ١٥٢ – ١٥٣ .

٦٢ () سورة الأنعام، من الآية: ١٤٩ .

٦٣ () سورة البقرة، من الآية: ٢٨٦ .

٦٤ () ينظر: الشعراني، القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية: ص ١٥٣ .

٦٥ () ينظر: المصدر نفسه: ص ١٥٣ .

٦٦ () ينظر: المصدر نفسه: ص ١٥٢ – ١٥٤ .

٦٧ () سورة البقرة، من الآية: ٢٨٦ .

٦٨ () سورة الطلاق، الآية: ٧ .

٦٩ () ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، رحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته، له مؤلفات كثيرة، مثل: البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم وغيرها، توفي سنة ٧٧٤هـ . [ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام: ٣٢٠/١] .

٧٠ () ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٥٢٦/٢ .